والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى سما الدنيا فيقول هل
من داعي فاستجيب له الحديث وبقوله لقد طال شوق الابرار الى لقاي واني الى لقايهم لاشد شوقا
وبقوله تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحجب
عن القلوب فان الاواني مادامت مملوة بالما لا يدخلها الهوى فالقلوب
المشغولة بغير الله تعالى لا تدخلها المعرفة بجلال الله سبحانه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السما ومن هذه الجملة يتبين ان
خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم هو العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله فيه
كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب النفس
والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس
يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس
مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان
يشارك الحمار والفرس في امور ويفارقه في امور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملايكة
المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين البهايم والملايكة فان الانسان من حيث يتغذى
وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة
المنقوشة على الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشيا فمن استعمل جميع اعضايه
وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملايكة فحقيق بان يلحق بهم
وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته
الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمرا
كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او
يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضا ولا حس من الحواس الا ويمكن الاستعانة
به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتي طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز
ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقا الله عز وجل مقصده والدار
الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضا خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان
في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده
اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها موخر الدماغ مجرى خازنه
ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضا المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس مجرى جواسيسه
فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع وتوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات

والشم بعالم الروايح وكذلك ساير ها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويردونها
الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلم صاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة ويعرضها
الخازن على الملك فيقتبس منه ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده
وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا
نعمة الله تعالى فاذا عطل هذه الجملة واستعملها لكن في مراعاة اعدايه وهي الشهوة والغضب
وساير الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه
ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا كافرا لانعم الله عز وجل مضيعا لجنود الله ناصرا لاعدا الله مخذلا
لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله تعالى منه والى المثال الذي
ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عايشة رضي الله عنها فقلت الانسان
عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب
الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في
تمثيل القلوب ان لله في ارضه انية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره
فقال رضي الله عنه اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان
وهي اشارة الى قوله تعالى اشدا على الكفار رحما بينهم وقوله تعالى او كظلمات في بحر لجي مثل قلب
المنافق وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب معناه مثل نور المومن وقلبه
وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ هو قلب المومن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي
فهذه امثلة القلب **بيان مجامع اوصاف القلب وامثاله** اعلم ان الانسان
قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوايب ولذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من
الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه
الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضا والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث
تسلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه
في نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلا
والاستعلا والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية
والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق
الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلا
بالقهر على جميع الخلايق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص
من البهايم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)